تربية الاطفال على سنن الدين

ان أولى ما تصدر به الصحف وتجري بمداده الاقلام تربية النشإ المضاع وبث روح المشارب الوطنية في روعه الخالي ، نعم ان أكبر اساس يضمن الفوز ويرتكز عليه نجاح اطفال الشعب افراداً وجموعاً السير بهم صوب خطة الدين المقدسة فانها الكفيل الامين والضامن المتين لسعادة رجال المستقبل هنا وهناك .

وحتى لو حاول المحرومون من اعتبار الاديان ابراز امر آخر غير الدين لانتظام حال البشر لذهب سعيهم سدى ولم يظفروا من تلك الغنيمة بسوى الايباب ، فهذه الحكومات كما ترى تشاهد لها السلطة النافذة على ظواهر البشر وما يمكن الاطلاع عليه من احوالهم بيد أن ما يضمرونه في خوالجهم من الافكار الرديئة وما يخفونه طاقتهم من الاعمال السيئة لم يكن للسلطة المحلية يد في السيطرة عليه .

وهنا نلفت النظر قائلين : فكيف العمل اذ ذاك — والشرف النفسي الذي تسند اليه الاستقامة ، ونتيجة تعميم نشر المعارف التي يقال عنها انها تتكفل بانتظام حال الشعوب ، هما امران غير عامين في النوع البشري ونشر ذلك وتعميمه يفتقر إلى ظروف طويلة تنقضي بالجد والاجتهاد في تعميم المعارف وبث روح الشرف النفسي في أنفس الامم ، وأثر ذلك فهيهات أن يقف هاذان الامران تجاه فتنة الشهوة وحب المال — من يكفل لنا أن ذا الشرف النفسي والممتلئ بالمعارف غير الدينية لو اختلي بأجمل امرأة تميل نفسه اليها وأمن اطلاع احد عليه ووقوعه تحت طائلة جزاء الحكام تنجو منه تلك المرأة ولا يفترسها ويسلب عرضها ثم يقتلها ويخفيها أن رأى مصلحته بذلك ، ومن يضمن لنا أن ذلك الرجل اذا أمكنه الحال أن يزهق نفس ذي مال ويعدمه الحياة ويستولي على ماله الوافر من غير أن يشعر به أحد ولا تأخذه سطوة الحكام لا يقدم على ذلك أسرع الاقدام ؟ لا أظن أن انساناً يتجرأ على ذلك الضمان وأن تجرأ احد فنرى أنه مخذول العاقبة كما يبدو للمفكر المنصف .

لكن نحن نكفل صاحب الدين الذي قام في وجهه وازعه وتمكن في قلبه خوف البارئ جلت عظمته وراقب في ضميره أن الحق سبحانه مطلع عليه في كل حركاته وخطرات قلبه أن يقمع شهوته عن أجمل النساء ويزجر طمعه عن أموال سواه ولو اطمأن عاقبة الاطلاع وكانت تلك الاموال خزائن الارض لا نقول بعصمته ولكن يقال أن ذلك هو المرجو من تقواه والمامول من خشيته ، فوجود رقيب الخوف من الرب سبحانه ومسيطر التقوى لا يفارقانه غالباً لا جهراً ولا سراً وحالة الامن من اطلاع البشر .

وهذا هو الفارق بينه وبين صاحب شرف النفس وحلية المعارف الدنيوية ، أجل قد يزايل صاحب الدين رقيبه المسيطر عليه لدا حدوث الغفلة في ربوع لبه بيد أنه من النادر في شأنه ، وعلى كل فالامن من شره أكثر وأوفر بأضعاف من ذي الشرف والعلم غير الديني ، مما يظهر لك حاله واضحاً : أن صاحب الدين الملازم له ما كان قرنه المضاد ليساويه مهما تسامى شرفه النفسي وازدادت معارفه الدنيوية .

فالدين إذاً هو الحال الاكمل في الهيئة الاجتماعية وشمول الطمانينة وارتفاع الشرور من الكون أو قلتها جملة وهذا ما لا يجحده مومن حر احتمى بدروع ملته السمحة .

فاذا كان دينك أيها المسلم الغيور بهذه المثابة وتلك النتيجة الفضلى فعلى امتك وابناء قومك أن يربوا أطفالهم

على قانونه ويطبعوا في قلوبهم لاول نشأتهم وشرخ شبابهم اصوله وفروعه المتكفلة بانتظام حالهم وسعادة مآلهم وبذلك تحسن الهيئة الاجتماعية التي هم أفرادها وأعضاؤها .

وليس الغرض أن يحيط كل فرد من أبناء جلدتنا بجميع أصول الدين وفروعه فذاك ما لا يتيسر لنزوح امكانه وليس من المشروط في انتظام الحال ، بل المراد بلوغ كل فرد من أبناء الامة القدر اللازم له من صبغة الدين المتكفل بصحة عقيدته وعبادته ، فمعرفة العقيدة هي فرض على المكلف البالغ العاقل لا مناص منه كما أحكام الصلاة والصوم متى جاء رمضاء وأما الزكاة فان ملك نصابها فيجب عليه معرفة حكمها وإلا فلا وكذلك الحج ، وهاكذا الحال في بقية العبادات فيما يفترض على المكلف منها يجب عليه معرفة أحكامه والقيام بما يناط به من الكلفة ، ثم يعرف ما أوجب الله عليه من الطاعة لخليفة الرسول العادل وما يفرض عليه من وجوب حفظه لعهده وأمانته في خدمته ثم الخطة التي يسلكها من طرق المعاش يلزمه معرفة احكامها فان سلك طريق التجارة وجب عليه معرفة البيع والشراء وما يحرم وما يحل وان رام سبيل الصناعة فكذلك وهكذا نعم ما لا يسلك طريقه لا يجب عليه معرفة احكامه الشرعية ، ثم عليه أن يعرف المحرمات في الدين كي يجتنبها من نحو الزنا والسرقة وشرب الخمر وأمثال ذلك من الموبقات المصرح بها في نصوص الدين ، وأما الاخلاق المضاعة رغم كونها المقدمة الاولى من مقدمات الحياة الاجتماعية فافتراض معرفة المحظور منها في الشرع والذي يجب التحلي به على كل فرد من افراد الامة هو قدر ثابت لدا المبادئ الاسلامية كثبوت بقية الفروض وسائر المحرمات فيلزم علم احكامها على كل احد بعينه فيجب أن يعرف حرمة الحسد والحقد وأمثالهما ويقوم مشمراً اردانه للتخلي عن فظاعة ذلك وما يئول اليه مما هو لدينا ماثل صباح مساء متصفاً وقته بالرضى والصبر على ما تجري به المقادير والتحلي بكل ذلك طبق صريح النصوص الشرعية وما صدع به حامل لوائها المقدس عليه السلام .

ولكن من الغريب أنه توجد شبهة عمياء عند جم غفير من الجهلاء يتوهمون مجدسهم الخامل أن أمر الاخلاق وأحكامها هو شيء خاص بأهل الورع والتصوف حتى اذا نهوا عن خلق محرم في الشرع كالحسد والسعاية أو أمروا بخلق واجب كلين الجانب وطيب القول والرضى كان جوابهم : هذا أمر له رجال رضي الله عنهم يعنون بهم الصوفية ، والحال أن تلك الاخلاق الغريبة المضاعة ضياع القسم عند الكاذب نحن فيها سوية لا فرق في أحكامها شرعاً بين عموم افراد الامة فيحرم على كل فرد رذائلها ويجب عليه التحلي بفضائلها بل هي أكبر المقاصد في شرائع الدين حتى ما بعث نبينا صلوات الله عليه الا ليتمم مكارم الاخلاق .

ويبدو أن تلك الشبهة قد طرأت على أولائك الجهلة حينما يرون غالب الاحيان ان رجال التصوف هم المتكفلون في كتبهم بالكلام عليها كما أن الفقهاء تكفلوا بالكلام على المحرمات والفرائض الظاهرية وعلماء الكلام تكفلوا بالبحث في العقائد الخ وليس الامر ذاك سوى توزيع شرح تلك المطالب بين أولائك الطوائف ليقضي كل منهم وظيفة تهمه على طريقة التعاون في تلك الدوائر لا لأن شيئاً منها يقصر على ناس دون آخرين فيترامى الرجل بطفله وفلذة كبده في تلك الهوة الساحقة هوة الغش له ولنفسه وللهيئة الاجتماعية وهو لا يشعر .

ترى الواحد منهم بمجرد ما يتعلم ولده القراءة والكتابة يقوده الى السعي على معاشه بالبيع والشراء أو بصنعة من

الصنائع أو شبه ذلك دون أن يصحح عقيدته اذ يعتمد على كون الولد يعرف أنه مسلم ويعظم الله والرسول من غير أن يبعثه على تعلم احكام العبادات الواجبة عليه ، بل يكتفي أن يقول له توضأ صلّ صم الخ دون أن يبث في غصنه الرطيب ما به تصح تلك العبادات وما به فسادها إلا قليلا نادراً وقد لا يلفت نظر ابنه المسكين لحقوق خليفته الا ما هو مشهور منها لدى السواد الاعظم ، كما يقتنع بتعليمه شيئاً من المحرمات المشهورة وقد يفوته الكثير الوافر منها ، وأما الاخلاق فياحسرتاه عليها قل أن يعتني بشأنها كثير من الاباء بل ربما تجد بعضهم يغرس بجهله أخلاقاً سيئة في نفوس أولاده كالكبر والعظمة والحسد والحقد والبخل والبذاء وأمثال ذلك وهو يظن أنه يعلمه مكارم الاخلاق فلا حول ولا قوة الا بالله ، الامر الذي يمكن أن يتعسر اثناءه نجاح الابن في درسه الاخلاقي (لو وجد) ضرورة أنه طبع في شرخ نشوئه وغضاضة شبابه وعنفوان حياته على السفاهة وخفة العقل ومساوىء الاخلاق فيا لضيعة الادب بمزايلة الحيا ومحالفة البذا .

أما أحكام المعاملات فمن الجلي ان جل الاباء يفوض تعليمها لاولادهم الى التجربات ووقوعات الظروف كأن الشريعة الغراء قصرت عن ضبطها ووضع قوانينها ضمن الجهل ورجاله فبر بك قل لي أيها المسلم الحر أيؤمن على الولد الذي يهمله ذلك الاهمال أن تنقضي حياته وتنفد انفاسه وهو مختل العقيدة يندفع احياناً لاعتقاد ما يكفر أو يفسق على الاقل وهو لا يشعر كونه فريسة في براثن الجهل الفتاك ، أيومن عليه أن تكون عباداته فاسدة غير مقبولة وهو لا يعلم ، ألا يخاف أن يجري سراً ما يخالف رضاء ولي امره ويحسب من خوره وجهله أن ذلك هين لا يضر وهو في الحقيقة عظيم ، ألا يخشى عليه أن يرتكب محرمات كالغش والخديعة وهو يخال نفسه سالكة سبيل الاستقامة .

أما يخاف عليه أن يصبح وحشا من الوحوش متكبراً متعاظماً حسوداً حقوداً طماعاً ضجراً كافراً لنعم ربه غير شاكر أضف لذلك ما اذا أصبح جاراً في أيام سعيه لجيران جهلة غير مستقيمي الاحوال أفلا يقتبس منهم كل وصف رذيل وخطة ذميمة فيغش بيعاً وشراء ويختلس كل ما بلغته يده الاثيمة ويحلف الايمان الكاذبة رغبة في نفاق سلعه ، ويخون ويخدع ما استطاع لا سيما من يخالفه في الدين ظناً منه اباحة ذلك شرعاً وبيس الظن حضرة الجاهل ، ولو كانت قوانين المخالف تساعده فتلك مبادئه ، والعجب كل العجب من ابن الجهل كيف يزعم في نفسه ان جميع ما يحريه يعد من نوع النشاط والاقتدار على المكاسب وان هذا الحال يبلغ النهاية في الفظاعة اذ سرعان ما يصبح مرتكبه سراقاً مختلساً خداعاً مكتسب الحرام وهو جالس في دكانه يفتخر هو وأبوه أنه صار معدوداً من التجار أو الصناع الماهرين ، ذاك فاذا سألت والده ومشاركه في الحوب هل ترضى أن يكون ولدك سارقاً مختلساً كذابا مخادعاً مدنس الذمة خواناً في الحقوق التي سوف يحاسب عليها يوم العرض والحساب يقول : لا والله لا والله ، فلنقل لذلك المسكين ان ولدك قد اتصف بكل ذلك وهو قاعد في حانوته وانت وهو لا تعلمان ذلك منه ، ولا ذنب سوى تفريطك في تعليمه القدر الذي كان يدفع عنه تلك المهالك ويحليه باضدادها من الكمالات .

فلو أن اولائك الاباء والاوصياء انتبهوا لما حررته الشريعة الاسلامية وهدت اليه وصرفوا هممهم لتغذية أولادهم القدر اللازم من التربية الشرعية حتى تسلم مهجهم من تلك الغوائل الفتاكة لكانوا قد ادوا حقوقهم وأخلصوا لهم النصح حقيقة ونصحوا الهيئة الاجتماعية واثيبوا الثواب

الجزيل وأصبحنا في الهناء والرفاهية وكمال الامن في المعاملات وقضينا العمر بنعيم والله ولي التوفيق .

ثم لا يخطر ببال القارئ من سياق هذه الكلمة أن سلوك سبيل الاستقامة هو مامور به من لدن الشريعة الاسلامية فحسب كلا بل سنته سائر الشرائع الالهية خصوصاً شريعة موسى وعيسى عليهما السلام ، حول كل المصلحات للنوع البشري والمهذبات لاخلاقه والمنتجات استقامته وصلاح حال المجتمع والامن على الحقوق وانتشار السلام لا سيما في امر الاخلاق والدعة واللين في شريعة سيدنا عيسى عليه السلام فكل من يحيط علماً بوصاياها يستنتج أنها مبنية على السلام والتباعد عن كل شر يسيء النوع الانساني .

فانما الامم الاخلاق ما بقيت
فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا

الجزاري

قدماء المحاربين

سيعقد قدماء المحاربين مؤتمرهم هذا العام بعاصمة الجزائر في سادس ابريل المقبل ، وكثيراً ما يتناول قدماء المحاربين في مؤتمرهم السنوي أهم المسائل العمرانية ويبحثونها بحثاً مستفيضاً يكون له الاثر الفعال في الرأي العام وفي الدوائر الرسمية مراعاة لمكانة قدماء المحاربين بين طبقات الامة ، ولتجرد بحوثهم عن السياسة وخلافات الاحزاب ، وقد أظهروا في كل مؤتمراتهم السابقة اعتناء كبيراً برفقائهم المسلمين الامر الذي يدل على تمسك قدماء المحاربين بمبدئ المساواة الذي كان خير رابطة بين الجميع في ميادين الحرب العالمية ، وبهاته المناسبة نلفت النظر الى ما كتبناه على صفحات المجلة في شأن المجاعة المنتشرة بين اخوان هؤلاء المحاربين المسلمين سواء في المغرب أو الجزائر وتونس وما يوجب ذلك من عناية وتنظيم ، فنرجو من قدماء المحاربين الافاضل أن يهتموا بهاته المسألة اهتمامهم بكل ما يرفع من شأن فرنسا والاقطار المحمية بها ، وبذلك يزيدون عملاً آخر الى ما أسلفوا من أعمال مشكورة .

نشأة الادب العربي بالمغرب
في عهد الدولتين المغراوية واليفرنية
(٣)

وكان زيد بن عطية الذي تكلمنا عليه في العدد الاخير ذا شخصية قوية ممتازة ووالياً جبّاراً ما ظفر بعدوه الا أهلكه وكان يضاهيه رجل يفرني في القوة والرياسة والحسب والمال وهو يد بن يعلى اليفرني من أعيان قبائل زناتة وكانت الحرب بينهما سجالا وكانت الرعية في شغب عظيم وتعب كبير بسبب الحروب الكثيرة التي كانت بين هذين الرجلين فكان اذا غلب احدهما الاخر دخل الغالب الى العاصمة الكبيرة فاس فلما ذهب زيد بن عطية الى الاندلس انتهز الفرصة خصمه الالد وأغار على العاصمة وأخذها فوصل الخبر الى زيد بن عطية وهو راجع من الاندلس فأغذّ السير والتقى مع خصمه فظفر به وحزّ رأسه وأرسله الى الخليفة المنصور ، عند ذلك صفا لزيد بن عطية الجو وأمن من غوائل الدهر ، قال صاحب الاستقصا : وصفا له المغرب ولم يبق له منازع وهابته الملوك وبقي الامر مستقيماً بينه وبين المنصور في الظاهر فسمت همته الى بناء مدينة تكون خاصة به وبقومه وأرباب دولته فبنى مدينة وجدة وشيد أسوارها وأحكم قصبتها وسكنها بأهله وحشمه ونقل اليها أمواله وذخائره وجعلها قاعدة ملكه لكونها واسطة البلاد وثغراً للعدوتين ـ المغرب الاقصى والاوسط ـ وذلك سنة ٣٨٤ ، ويقول الفقيه محمد ابن عبد السلام السائح في كتابه المنتخبات العبقرية : ان الذي أسس وجدة هو يد بن يعلى اليفرني ولم أدر من أين أتى بهذه القولة الغريبة وقد اختص بها دون سائر المؤرخين .

انقضت أيام زيد بن عطية وتوفي وهو مخالف للمنصور بن أبي عامر من جراحاته التي أصابته في الحرب مع عبد الملك المظفر ولد المنصور وخلفه ولده المعز بن زيد بن عطية وصالح المنصور وقام بدعوته ورجع الى طاعته وبقي موالياً له الى أن توفي المنصور وولي ابنه المظفر فبايعه وأدى له رسوم الملك من هدايا وتحف فولاه على سائر بلاد المغرب حواضره وبواديه وذلك سنة ٣٩٣ وشرط على المعز أن يعطيه مالاً معلوماً وخيلاً ودَرَعاً يوصل ذلك الى قرطبة